﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف: 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

كتابُ الله هدايةٌ لمن رام النَّجاة، ورحمةٌ لمن حرص على الفوز

في الآيةِ مُناسبتان؛ الأولى: عامَّة مع السّياقِ السّابقِ، والأُخرى: خاصّة مع الآيةِ السّابقةِ وحدَها. أمّا المناسبةُ العامَّة: فلَمّا بيَّنتِ الآياتُ السّابقةُ أحوالَ أهلِ الجَنَّةِ وأهلِ النّارِ وأهلِ الأعرافِ، وبيَّنت ما كان بينهم مِن محاوراتٍ وشَرَحِ الكَلِمات الدّائِرَة بَينَهم على وجهٍ يَصيرُ سَماعُ تِلكَ المناظَراتِ حامِلًا لِلمُكَلَّفِ على الحَذَرِ والاحتِرازِ، وداعيًا له إلى النَّظَر والاستِدلالِ، جاءت هذه الآيةُ آخذةً مَوقِعًا في الإبانةِ عن واقعِ القرآنِ، وأنَّه كتابٌ مُفصَّلٌ على علمِ اللّهِ، هدايةٌ لمَن رامَ النَّجاةَ، ورحمةٌ لمَن حَرِصَ على الفوز، وهو في المقابلِ عذابٌ أليمٌ لمَن تركَهُ خلفَ ظهرِه مهجورًا. وأمّا المناسبةُ الخاصَّةُ: فلمّا ذَكَرَ في الآيةِ السّابقةِ جحودَهم بآياتِ اللّه تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف: 51] ذكرَ في هذه الآيةِ وصفَ الآياتِ الّتي جحدَها أولئك، زيادةً في التَّرهيبِ والوعيدِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِكِتَٰبٍ﴾: مِنَ الجذر (كتب)، وهو أصل صحيح واحد يدلُّ على جمع شيء إلى شيء، ومِن ذلك الكتاب والكتابة، والكتابُ: مصدرٌ كالكَتْبِ، وأصلُه: جمعُ شيءٍ إلى شيءٍ، وتُعورِفَ في ضَمّ الحروفِ بعضِها إلى بعضٍ بالخطّ، وقد يُقال ذلك للمَضموم بعضِها إلى بعضٍ باللّفظ، فالأصلُ في الكِتابَةِ النّظمُ بالخطّ، لكنْ يُستعارُ كلٌّ واحدٍ للآخر، ولهذا سُمّي كلامُ اللّه كِتابًا، وإنْ لم يُكتَب[1].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كتب).

2) ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: مِنَ الجذر (فصل)، وهو أصل صحيح يدلُّ على تمييز الشَّيء مِنَ الشَّيء وإبانته عنه، وأصلُ التّفصيلِ: مِنَ الفصْل، وهو: قطعُ الشَّيء وإبانَتُه، وتفريقُهُ عمّا سواه؛ ليتميّزَ ويستقلَّ ويَبينَ مِن غيرِه[1]. وتفصيلُ الكتابِ: جَعلُ حقائقِه ومسائلِه المرادِ بيانُها مفصولًا بعضُها مِن بعضٍ بحيثُ لا تَشتَبِه[2].

❁ المعنى الإجماليُّ:

أقام الله الحُجّة على خَلْقه بإنزال الكتاب مفصَّلًا، وهـاديًـا لأهـل الإيـمـان ورحمة لهم

بيَّنتِ الآيةُ العدلَ الإلهيَّ والرَّحمة الرَّبّانيَّة، بإقامة الحُجَّةِ على الخَلْقِ، بأنْ جاءَهم بكتابٍ مُفصَّلٍ على عَلْمٍ مِن لدنّا بما بيَّناه، وعِلْمٍ عظيمٍ كائنٍ فيه، ومُشتمِلٍ عليه؛ لأجلِ أن يكونَ هاديًا لهم ومُرشدًا ودليلًا للحقّ، وسببًا في رحمتِهم إنْ هم صدّقوه، وعمِلوا بما فيه، وكانوا قومًا مؤمنين.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾:

الاسـتـئـنـافُ النَّحويُّ وعطفُ الـقـصَّـةِ على القصَّة متقارِبان في الدّلالةِ

تَحتمِل الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ أن تكون استئنافًا نحويًّا، أو عطفًا، أمّا الاستئناف النَّحويّ: فباعتبارِ أنَّ الكلامَ قد تمَّ عند: ﴿يَجْحَدُونَ﴾ في قولِه: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف: 51]، وأمّا العطفُ: فهو مِن بابِ عطفِ القصَّةِ على القصَّةِ، فالجملةُ معطوفةٌ على جُملَةِ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 50]، فهو كَلامٌ أنِفٌ انتُقِلَ به مِن غَرَضِ الخبَرِ عَن حالِ المُشرِكينَ في الآخِرَةِ، إلى غَرَضِ وصفِ أحوالِهم في الدُّنيا، المُستَوجِبينَ بها لِما سَيُلاقونَهُ في الآخِرَة، وليس هو مِنَ الكَلامِ الَّذي عَقَّبَ اللّه به

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فصل).
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 8/393.

كَلامَ أصحابِ الجَنَّةِ في قَولِهِ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ [الأعراف: 51][1].

ومعنى الاستئنافِ والعطفِ متقاربٌ، حيث إنَّ عطفَ القصَّةِ على القصَّةِ فيه معنى الاستئنافِ؛ لأنَّه يَشْرعُ في معنًى جديدٍ كُلّيٍّ، على معنًى كلّيٍّ سابق.

بلاغةُ القَسَمِ في إقامةِ الحُجَجِ:

تأكيدُ البلاغِ المبينِ دافعٌ لشُبهةِ تقصيرِ سيِّدِ المُرسلين

جاءَ التّعبير بجملةِ القَسَم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم﴾؛ لتأكيدِ استحقاقِ المشركين ما حصل لهم مِن سوءِ العاقبةِ، ودَفْعِ توهُّمِ التّقصيرِ في بلاغِهم وحِجاجِهم؛ ففيه دَفعُ شُبهةِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قصَّر في التَّبليغِ، وإيصالِ الرِّسالةِ على وجهِها للعالَمين، وفي القَسَم: تأكيدٌ بأنَّ التّعذيبَ ليس مُرادًا ابتداءً مِنَ اللّه بخَلْقه، بل ما كان للّه أن يُبادِئَ أحدًا بالعقوبة، إلّا إذا استوفى مِن نفسه خُسرانَها، فسَوقُ الكلامِ بأسلوبِ القَسَمِ دليلٌ على أنّ الرَّحمةَ أصلٌ سابقٌ على الغضبِ.

تعيينُ مَرجِعِ الضّمير في قوله تعالى: ﴿جِئۡنَٰهُم﴾:

يُحتمَلُ عَودُ الضّميرِ على الأُممِ السَّابقةِ عامّةً، أو على المعاصرين خاصَّةً

يرجع الضَّميرُ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم﴾ على الكفرةِ عامَّةً، والمرادُ بالكتابِ الجنسُ، أو على المشركين المُعاصرين للرَّسولِ ﷺ، والمرادُ بالكتابِ القرآنُ[2].

والمعنيان مُعتبران، إلّا أنَّ اطِّرادَ الكلامِ على صيغة الغيبة، فلم يقُل: (ولقد جئناكُم)، وتأكيده بالقَسَم يُرشِّح أن يكونَ الكلامُ عنِ الأممِ الفائتةِ الغائبةِ، لا عن أُمَّةٍ حاضرةٍ، يَغلبُ أن يكونَ الكلامُ عنها بالخطاب دونَ الغَيْبة، فضلًا على أنّ المذكورَ القريبَ هم كافرو الأممِ الماضيةِ مِنَ الأوَّلينَ والآخرينَ، وعَودُ الضَّمير على مذكورٍ صريحٍ أولى مِن عَوْدِه على معهودٍ مُقدَّرٍ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/151.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/231.

معنى الباء في قولِه: ﴿بِكِتَٰبٍ﴾:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ للتَّعدية، كأنّه قيل: (ولقد أجَأْناهم كتابًا)، فالكتابُ الّذي دخلَت عليه الباءُ هو مفعولٌ به في المعنى، والنُّحاةُ يُعبِّرون عن ذلك بأنّ الباءَ للتَّعدية، بمعنى: أنَّنا لو أزلناها لَتَعدَّى الفعلُ بالهمزة، وصار المجرورُ منصوبًا، فلمّا دخلتِ الباءُ تعدَّى الفعلُ بها، كقوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: 17]، وأفادَ دخولُ الباءِ بيانَ تمكُّنِ المجيءِ، في إقامةِ الحُجَّةِ عليهم، بأداةٍ لا تقبل الشَّكَّ، وهي الكِتاب.

الباءُ للتَّعدية، ونكتتُها: بيانُ تمكُّنِ المجيءِ في إقامةِ الحُجَّةِ

دلالةُ لفظِ (كِتاب) بينَ العُمومِ والخصوصِ:

يَحمِل المفسِّرون معنى الكتابِ في قوله تعالى: ﴿بِكِتَٰبٍ﴾، إمّا على جنسِ الكُتبِ الّتي جاءت بها الرُّسُلُ أقوامَهم، وإمّا على القرآنِ خاصَّةً، وكلا المعنيين صحيحٌ، فحَمْلُه على الجنس شاملٌ لجميعِ الكُتبِ، ومنها: القرآنُ الكريمُ، لكنَّ القرآنَ يدخلُ في الآيةِ دخولًا أوّليًّا، فهو المقصودُ فيما يتعلّقُ بالمُخاطَبين، إذ إقامةُ الحجَّةِ تتَّجهُ إلى المعاصِرين بصورةٍ مباشرةٍ، وحَمْلُه على الجنسِ لبيانِ عدالةِ اللّهِ تعالى في إرسالِ الرُّسلِ إلى جميعِ الخَلْقِ، وإقامةِ الحجَّةِ عليهم.

لفظُ الكِتاب يُرادُ به جنسُ الكُتُبِ، ويدخل القرآنُ دخولًا أوّليًّا

سرُّ التَّعبيرِ بمفردة: (كتاب):

عَبَّرَ بالكتابِ ليَشملَ جميعَ الكُتبِ، فلو قال: (بقرآنٍ) لاقتصرَ على القرآنِ، ولبيانِ توثيقِ ما جاءَ في جميعِ الكُتبِ، فهي مكتوبةٌ مُدَوَّنةٌ محفوظةٌ، انتهى حفظُها إلى القرآنِ الكريم، فهو الكِتابُ النّاسخُ المهيمنُ على بقيَّةِ الكُتب، ولا كتابَ يقبلُه اللّهُ بعدَ نزولِه سواه.

القرآنُ الكريم كتابٌ ناسِخٌ، مُهيمنٌ على بقيّةِ الكتبِ

غَرَضُ تنكيرِ لفظِ (كتاب) في قوله: ﴿بِكِتَٰبٍ﴾:

نُكِّرَ لفظُ (كِتابٍ) لقصدِ الإجلالِ والتّعظيم، وإشارةً إلى فخامته، وإلى أنّه كتابٌ لا يتسامى إلى مثله كتابٌ[1]، ولإرادةِ كمالِ

تعظيمُ الكتابِ وإجلالُه، فهو ليسَ كبقيَّةِ الكُتبِ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2857.

النَّوعِ؛ على القولِ بأنَّه القرآنُ خاصَّةً؛ أي: هو نوعٌ ضمنَ الكُتبِ الّتي أُنزِلَت مِن قبلُ، وفَرْدٌ مِن أفرادها[1]، ولإفادة الشّمول في أصله؛ باعتبار إرادةِ الجنسِ في معنى الكِتابِ، أو باعتبار شُيوعه في الأمم؛ أي: كتابٌ حاصلٌ في كلّ أُمَّة، بشيوع الوحي فيها جميعًا، وعدم اقتصاره على طَرَف منها.

فوائدُ نعتِ لفظِ ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ بالجملة الفعليّة: ﴿فُصِّلَتْ﴾:

تـفـصـيـلُ الـكـتـابِ جاء ليشملَ الواقعَ والمستقبلَ

جاءَ الكتابُ في قوله تعالى: ﴿بِكِتَٰبٍ فُصِّلَتْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منعوتًا بالفعل دونَ الاسم والمصدر، فلم يقُل: (جئناهم بكتاب مُفصَّلٍ، أو فصْلٍ)؛ لفوائد:

الأولى: دَفْعُ توهُّم أنَّ التَّفصيلَ مقصورٌ على الكِتابِ، دون ملاحظةٍ لمَنْ فُصِّل لأجلِه الكِتابُ، فجاء التّعبيرُ بالفعل؛ لإفادة أنَّ الكِتابَ مُفصَّلٌ في ذاته، ومُفصَّلٌ لأجل مَن نزل فيهم، وأنَّهم كانوا همُ المقصودينَ مِن تفصيل الكِتاب خطابًا، وتكليفًا، وهِدايةً.

الثّانية: الإشارةُ إلى حركة تبليغِ الرُّسلِ، وأنَّه كلَّما تجدَّد للأقوام مِنَ الرّسل البلاغُ، اتَّسعَ لهم في تفصيل الكتابِ جديدٌ لم يكن معهودًا لهم مِن قبل، فكلَّما أحدث الرَّسولُ بلاغًا كان هذا بمثابة تجدُّدِ التَّفصيل واستزادةٍ فيه.

الثّالثة: الإشارةُ إلى أمرٍ غيبيٍّ، وهو أنَّ الكتابَ فيه تفصيلُ كلِّ شيءٍ إلى قيام السّاعة، فكلُّ مستجدّات الحياةِ تفصيلُها في القرآن الكريم.

فائدةُ تقييدِ جملةِ: ﴿فُصِّلَتْ﴾ بالجارِّ والمجرورِ: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾:

الـكِـتـابُ أصلُه الـعِـلْـم، وهـو قائمٌ على الحقِّ، لا يتطرّقُ إليه الشَّكُّ

قُيِّدَت جملةُ: ﴿فُصِّلَتْ﴾ بالجارّ والمجرور: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ لبيانِ موقعِ الكِتابِ مِنَ اليقين والحقِّ، فهو قائمٌ بالحقِّ، مُرتكزٌ على العِلْم، فالعِلْمُ هو قاعدةُ الكِتابِ الّتي يرتكزُ عليها، وينطلقُ منها؛ فكأنَّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/152.

الكِتابَ مُسْتعلٍ عليه استعلاءَ البُنيانِ على قواعده، فلا انفكاكَ لأحدهما عنِ الآخَر، ويُرشِّحه حَملُ حرفِ (على) على الاستعلاء المجازيِّ. وفيه تعريضٌ بالكافرين وتشنيعٌ عليهم، بأنَّ كُفرَهم لم يَصدر عن عِلْمٍ، ولا عن حقٍّ ويقينٍ، بل كانوا ما بين اتِّباعِ الظَّنِّ والهوى، والافتراءِ على الله الكذبَ، وتحريفِ الكَلِم عن مَواضِعه في كُتبهم، وأنَّ كلَّ كتابٍ لم يَقُمْ على حقيقةِ العِلْمِ فهو أجدرُ أن يُطرَحَ، ولا يُكْترَث له، ولا سيَّما ما لَحِقَه التَّحريفُ. وفيه حضٌّ للمؤمنين أن يستمسكوا بمسلكِ العِلْمِ واليقين، وألّا يتَّبعوا مَسالكَ الظُّنونِ والتَّقليدِ أيًّا كان أهلُها ورُعاتُها.

سرُّ استعمالِ حرفِ الاستعلاءِ في قوله: ﴿فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾:

الكِتابُ قائمٌ على العِلْمِ أصالةً، مشتملٌ عليه تبعًا

حرفُ الاستعلاءِ ﴿عَلَىٰ﴾: إمّا أن يُحمَلَ على الاستعلاءِ المجازيِّ، فهو يدلُّ على التَّمكُّن من مجروره، ومعنى هذا التَّمكُّن: أنَّ عِلْمَ اللهِ تعالى ذاتيٌّ لا يَعْزُب عنه شيءٌ مِنَ المعلومات[1]، فهو العِلْمُ الإلهيُّ الثّابتُ الكاملُ، المُنزَّهُ عنِ الخطأ والنَّقص، ويكون ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حالًا مِنَ الفاعل؛ أي: فصَّلْناه عالمين بتفصيله[2].

وإمّا أن يُحمَلَ حرفُ الاستعلاءِ على التّعليل؛ أي: لأجل العِلْم، ويُفيدُ قصدَ تعليمِهم وإعلامِهم، فالعِلْمُ مُتعلِّقٌ بالمُخاطَبين؛ أي: العِلْم الّذي يهديهم به اللهُ ويرحمُهم، وهو عِلْمُ اليقينِ والحقِّ، ويكون: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حالًا منَ المفعول؛ أي: فصَّلْناه مُشتمِلًا على عِلْمٍ[3].

وحَمْلُ حرفِ الاستعلاء على أصلِه في الاستعلاءِ هو الأوْلى بالمقام، ومعنى التَّعليل يدخل تَبَعًا، فإنَّ الكتابَ الّذي قام على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/152.
(2) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 5/336.
(3) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 5/336.

علمِ اللّهِ تعالى، قد اشتملَ يقينًا على العِلْم الّذي يُفيدُ الخَلْقَ، فالمعنيان مُتعانقان.

دلالةُ تنكيرِ لفظِ: ﴿عِلْمٍ﴾:

تعظيمُ العِلْم، يُفيد التَّحضيضَ عليه، والاستنهاضَ إليه

أفادَ تنكيرُ لفظِ ﴿عِلْمٍ﴾ التَّعظيمَ، وكمالَ الجنسِ، وتمامَ الإتقانِ واليقين؛ أي: عالِمين أعظمَ العِلْم، على أكمل وجهٍ بذلك، حتّى جاء حكيمًا مُتْقَنًا، والعَظَمةُ هنا راجعةٌ إلى كمالِ الجنسِ في حقيقته، وأعظمُ العِلْم وأكملُه: هو العِلْم الّذي لا يَحتمِلُ الخطأ ولا الخفاءَ، وهو العِلْم الذّاتيُّ الإلهيُّ، الّذي لا يتخلَّفُ ولا يَختلفُ في ذاته، فلا يَحتمِلُ الخطأ ولا التَّردُّدَ[1].

نكتةُ تقييدِ الكتابِ بالحالِ بصيغةِ المصدرِ: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾:

التَّعبيرُ بالمصدرِ؛ للمبالغةِ في بيانِ ثباتِ هدايةِ الكتابِ ورحمتِه بالعباد

جاء تقييدُ الكتابِ بقوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ حالًا بصيغة المصدر؛ مبالغةً في تثبيتِ عاقبةِ اتِّباعِ الكِتابِ، وتنبيهًا على "قوَّةِ هَدْيِه للنّاسِ، وجَلْبِ الرَّحْمةِ لهم"[2]، ويُؤوَّل بالوصف، أو التّقدير بالإضافة؛ "أي: جعلنا الكِتابَ هاديًا وذا رحمة"[3].

دلالةُ عطفِ الرَّحمة على الهُدى:

تلازمُ الهدى والرَّحمة، فيه اختزالُ معاني البلاغِ والاستجابةِ والعاقبةِ

اطِّرادُ مجيءِ الرَّحمةِ بعدَ الهُدى، كاطِّرادِ ترتيبِ النَّتيجةِ على المُقدِّمَة، وحدوثِ العاقبةِ بعد العملِ، فالهُدى: أصلُ الرَّحمة، وهي ثمرتُه، وفيه مراعاةٌ لرُتَبِ المقاماتِ، والتماسِ العواقبِ بعد تحقيقِ أسبابِها؛ أي: تحقَّقوا بالهُدى تجدوا الرَّحمةَ تاليةً له، حاضرةً بعدَه، وفيه مِنَ البُشْرى والاستنهاض ما فيه؛ لأنَّ اقترانَ المكافأةِ بالتَّكليف حافزٌ على القيامِ به، والنَّشاطِ له، والقيدُ بالحال هدًى ورحمةٌ معًا؛ لاشتمالهما على معاني البلاغِ والاستجابةِ والعاقبةِ.

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 4/366، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/153.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/153.
(3) البغويّ، معالم التّنزيل: 3/235.

أغراضُ توجيهِ المخصوصِ بالذِّكر في قوله تعالى: ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾:

التَّخصيصُ بالذِّكر اجتمع فيه: المناسبةُ، والمقابلةُ، والاختصاصُ، ودَفْعُ الإيهام

خصَّصتِ الآيةُ صِفةَ الإيمان في وصْفِ القومِ، وذلك لمجموعةٍ مِنَ الفوائد:

الأولى: غرضُ المناسبة، والرَّبطُ بأوَّلِ السّورة، فالآيةُ "مردودةٌ على قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾ [الأعراف: 2]"(1).

الثّانية: غرضُ المقابلة؛ لأنَّ السياقَ موصولٌ بذِكْرِ الكافرين قبلَه، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ [الأعراف: 50]، فالكافرون اتَّخذوا دينَهم لهْوًا ولَعِبًا، والمؤمنون اتّخذوه هدايةً ورحمةً.

الثّالثة: غرضُ الاختصاص؛ فإنَّ الرَّحمةَ المذكورةَ في قوله: ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾ لا تقعُ إلّا لمَن تلقَّى الكِتابَ والوحيَ بإيمانٍ وإذعانٍ.

الرّابعة: غرضُ التّفريقِ بينَ هدايةِ التّوفيقِ، وهدايةِ الإرشادِ، ودَفْعِ الإيهام؛ ولذلك لم يوصفِ الكِتابُ بأنَّه هُدًى للكفّار؛ لئلّا يُتَوهَّم أنَّهمُ اهتَدَوا بالفعل، وإن كان هو هدًى لهم بقوَّة الدَّليلِ والبيانِ فقط، فكذلكَ هاهنا اختُّص المؤمنون بالذِّكر؛ ليَدُلَّ على هدايتهم بالفعلِ والقوَّةِ معًا، بالدَّليلِ، والتَّحقيقِ، والبيانِ، والتَّصديقِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ في قوله تعالى: ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾:

الإيمانُ المبنيُّ على عِلْمٍ مُتَجدِّدٌ في القلوب، مُتَّقِدٌ في الأفئدة

عبَّرتِ الآيةُ بصيغة المضارعِ في قوله تعالى: ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ للدَّلالة على أنَّ الإيمانَ يتجدَّدُ بتجدُّدِ تَعَلُّمِ الكِتابِ، وطَلَبِ المزيدِ منه، وأنَّ هناك علاقةً قائمةً بينَ الإيمان والعِلْم، فالعِلْمُ هو وقودُ الإيمان، وهو مَنبَعُ اتِّقادِه، فالإيمانُ مُتجدِّدٌ في القلوب، يزيدُ بعدَ نقصٍ، ويقوَى بعدَ ضَعْفٍ، فالتَّعبير بالفعليَّة بصيغة المضارع معناه: أنَّه يَحْدُثُ مَرَّةً بعد مَرَّة.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 10/240.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(التَّفصيل) و(التَّبيينُ):

التَّفصيلُ هو غايةُ التَّبيين، فلا يمكن التَّفصيل مِن غيرِ بيان، ولكن يمكنُ العكسُ

التَّفصيلُ: هو التَّمييزُ بين شيئين، بحيث تُقيم فاصلًا بينهما، فلا يتداخلان أو يتمازجان. والبيانُ: هو كَشْفُ الشَّيء، وتجليَتُه، وإيضاحُه باستقلالٍ، مِن غير اشتراطِ وقوعِه مُقارَنًا بغيره، أو استصحابِ غيرِه معَه، ولذلك؛ فالتَّفصيلُ: بيانٌ زوجيٌّ أو جَمعيٌّ لمُتَعدِّدٍ، والتَّبيينُ: بيانٌ فرديٌّ لا يَلْزم فيه استحضارُ معنى الثُّنائيَّة أو التَّعدُّديَّة. والتَّفصيلُ: هو الانتقالُ بينَ الفصولِ والمُقابَلاتِ، ولذلك عُبِّرَ بالتَّفصيل في الآية بعدَ أن ذَكَرَ الفصولَ المتقابلةَ بينَ أصحابِ الجَنَّةِ وأصحابِ النّارِ، ومصيرَ كُلٍّ، والتَّبيينُ: هو مُطلَقُ الإيضاحِ.

وعليه: فالتَّفصيلُ أعمُّ مِنَ البيان، فهو بيانٌ مَزيدٌ؛ بتحريرِ وإقالةِ المُبَيَّنات بعضِها عن بعض، بحيث لا يُحتَمَل معها تداخُلٌ أو التباسٌ، ولا يَقَعُ عليها إيرادٌ أو إشكالٌ، ولا تفتقرُ لاستيفاءٍ واستتمامٍ، والتَّفصيلُ: هو غايةُ التَّبيين، فلا يمكنُ التَّفصيل مِن غير بيان، ولكن يمكنُ التَّبيين مِن غير تفصيل[1].

(جاء) و(أتى):

الفرقُ بين هذين اللَّفظين مِن جِهتين:

الفرق بينَ المجيءِ والإتيانِ مِن جِهَتين: اعتبارُ السُّهولةِ وضِدِّها، واعتبارُ التَّحقُّقِ وخِلافِه

الأولى: باعتبار السُّهولةِ والشِّدَّة: فالإتيانُ: مجيءٌ بسُهولةٍ ويُسرٍ[2]، والمجيءُ: إتيانٌ فيه شِدَّةٌ وعِظَمٌ، كما قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم: 27]، ذلك أنَّ الإتيانَ به وحَمْلَه أمرٌ يسيرٌ لا كُلفَةَ فيه حِسًّا ومعنًى، ولكنَّ الإتيانَ بالفاحشة أمرٌ عسيرٌ مُسْتَبْشَعٌ، فاقترنَ بالمجيء؛ ولذلك جاء قولُه

(1) العسكريُّ، الفُروق اللُّغويَّة، ص: 59، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (بين)، والزَّمخشريُّ، أساس البلاغة: 2/25، وابن الجوزيّ، نزهة الأعين، ص: 212، والكفويّ، الكلِّيّات، ص: 230.
(2) الزَّمخشريُّ، أساس البلاغة: 1/20.

تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ [يونس: 24]، جاءَ بالإتيان، ولم يأتِ بالمجيءِ، مع أنَّه واردٌ في شِدَّةٍ وإهلاكٍ؛ للإخبارِ بأنّه في قدرة الله أمرٌ يسيرٌ لا عناءَ فيه، ليتقابلَ مع قوله: ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾ [يونس: 24]، فإذا كانوا قادرين عليها بالظَّنِّ، فقُدْرة اللهِ عليها بالإذهاب والفناء يسيرةٌ بيقينٍ كلَمْحِ البَصرِ، وبقول: ﴿كُن﴾ [البقرة: 117].

الثّانية: باعتبار التَّحقُّقِ وقُرْب التَّحقُّقِ: فالمجيءُ: هو الإتيانُ المُتحقِّقُ التّامُّ، والإتيانُ مجيءُ قريبٍ مُتَوقَّعٍ، أو حصل لكنَّه لم يَتمَّ بعدُ، ولذلك لم يجيءِ المجيءُ في القرآن إلّا بصيغة الماضي، بخلافِ الإتيانِ الّذي توفَّرت عليه الصّيَغُ؛ ﴿تَأۡتِينَآ﴾ [البقرة: 118]، ﴿ٱئۡتُونِي﴾ [يونس: 79]، ﴿فَأۡتِنَا﴾ [الأعراف: 70]، ﴿أَتَىٰٓ﴾ [النحل: 1]، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النّصر: 1]؛ فهو مُتحقِّقٌ حاصِلٌ، وقال: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النّحل: 1]، فهو وعدٌ مُستقبليٌّ قريبٌ، جرى مَجرَى المُتحقِّق[1].

(1) الهرويّ، الغريبين: 1/41، والرّاغب، المفردات، ص: 60، وابن الجوزيّ، نزهة الأعين، ص: 166، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 1/361، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أتو، أتى، جيأ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»